

الصراحة و قيمة التواضع.

أي عمل يتعلق بالسيرة الذاتية يفرض علي توضيح شكوك حول قرارات اتخذتها منذ أكثر من نصف قرن. و أقصد تفاصيل دقيقة ، لأن الأشياء الأساسية لا تنسى أبدا. و ها هي حالة ما فعلته في عام 1948 و قد مضت ستين سنة.

إنني أتذكر الأمور كأنها جرت ألبارحة، عندما قررت الانضمام إلى الحملة التي نظمت لتحرير الشعب الدومينيكي من طغيان تروهييو، وظلت في الأذهان كذلك كل واحدة من الأحداث الأكثر أهمية و المصيرية لتلك الفترة، إنها بعض العشرات من الأحداث الهامة التي لا يمكنني أن أنساها ،

و قد كنت أحي ذكر تفاصيلها بين حين و حين. و هناك شهادات مكتوبة للكثير منها.

عندما أقرر السفر إلى كولومبيا بفكرة تشجيع إقامة اتحاد الطلاب اللاتينوأمريكي لا يمكنني اليوم التأكيد بقناعة مطلقة على أنه بين الأهداف المستهدفة كانت بالتحديد عرقلة تأسيس منظمة الدول الأمريكية، (أو أي آ)، المشجعة من قبل الولايات المتحدة، فهذه رؤية ناضجة و بالغة قبل أوانها لست متأكد أنني كنت قد حققتها في ذلك الحين.

ثمة مؤرخ خارق العادة و خبير في التفاصيل الدقيقة مثل أرتوروألبي ، الذي قابلني 33 سنة بعد ذلك، يسجل أجوتي، حيث يؤكد على أنه كان جزءا من نية السفر إلى كولومبيا في عام 1948.

إن هيرمان سانشيس، في كتابه "شفافية إنمانويل" يذكر حرفيا فقرة مقابلة ألابي : "بتلك الأيام ،إنني أعتنق فكرة ، أمام اجتماع منظمة الدول الأمريكية في عام 1948، مشجعة من قبل الولايات المتحدة لتوطيد نظام هيمنتهم هنا في أمريكا اللاتينية، بأن نعقد اجتماع للطلاب اللاتينوأمريكيين ، يتزامن و اجتماع بلدان منظمة الدول الأمريكية و في نفس مكان انعقاده دفاعا عن المبادء المعادية للامبريالية و عن المسائل التي كنت قد طرحتها".

و قد نشرت هذه المقابلة نفسها في كوبا من قبل مطبعة نسان (أبريل)حديثا و تظهر الفقرة بكاملها . أحد ما ذكرني أنه في كتاب مائة ساعة مع فيدال ، أنا بالذات كنت أشك بأن تكون تلك الأهداف التي يسترشد بها تصرفي. من المتجلي أن التعبير لم يكن واضحا لما استخدمت العبارة: " أمام اجتماع منظمة الدول الأمريكية" .

كوسيلة وحيدة من أجل إزالة الشك، حاولت إعادة صياغة الأهداف التي كنت أتحرك بموجبها آنذاك و إلى أين كان يصل التكوين السياسي للذي، منذ سنتين و نصف فقط، كان قد انتهى دراساته في الصف الثاني عشر بمدارس تدار و ترشد من قبل المتدينون. إنه شخص متمرد طاقاته كانت توظف في ممارسة الرياضة، بالعمليات الاستكشافية، تسلق الجبال و النظر و البحث اعتمادا على أكبر مجموعة من المعلومات الممكنة في المواد الملائمة بالوقت المتوفر، و هذا لمسألة شرف فحسب.

إنني قد أعلمت بما فيه الكفاية خلال سنوات دراساتي عن الأخبار التي كانت تنشر يوميا منذ الحرب الأهلية الاسبانية في يوليو(تموز) عام 1936- لم يصل عمري وقتذاك إلى 10 سنة- حتى آب عام 1945-و قد أصبح في الحين عمري على وشك بلوغ 19 سنة- عندما تم قذف القنابل الذرية على هيروشيما و نغاساكي، كما رويته في فرصة ما .

منذ سن مبكر عانيت من الإجحاف و و من الأحكام السابقة لمعرفة الحقيقة، من التمسك بالباطل داخل المجتمع الذي كنت أعيش فيها.

عندما غادرت نحو كولومبيا كنت جديرا(راديكاليا) بما فيه الكفاية ، و لكنني لم أكن ماركسي لينينيا بعد، و كان عمري 21 سنة. كنت أناضل في الكفاح ضد طغيان تروهييو و أنظمة أخرى شبيهة له، من أجل استقلال بوارتوريكو، و استرجاع قاناة باناما ، و إعادة جزر الملويين لجمهورية الأرجنتين، و من أجل تصفية الاستعمار في الكاريبي و الحصول على استقلال الجزر و الأراضي المحتلة من قبل إنجلترا و فرنسا و هولندا في النصف الغربي من المعمورة.

بتلك السنوات ، في فينيزويلا، وطن بوليفيا، جرت ثورة بقيادة منظمة العمل الديمقراطي. إن رومولو بيتانكورت، الذي استلحم بالأفكار الجدرية اليسار ، بدا و كأنه قائد ثوري. قاد البلد ما بين أكتوبر(تشرين الأول) عام 1945 و فبراير (شباط)عام 1948. و جاء بعده رومولو غايغوس، الكاتب المشهور و الموقر، الذي انتخب كرئيس في الانتخابات الأولى التي جرت بعد الحركة العسكرية لعام

1945. انني اجتمعت معه في ذلك العام نفسه عندما زرت كاراكاس.أما بنامنا، تم قمع الطلاب بوحشية لمطالبتهم باسترجاع القناة؛أحدهم أصيب برصاص بظهره و انجرح بالعمود الفقري ، و لم يقدر على تحريك ساقيه.

في كولومبيا، كانت الجامعة في حالة غليان مع التعبئة الشعبية الغيتانية.

كانت الاتصالات مع طلاب تلك البلدان الثلاثة مثمرة: كانوا قد وافقوا على فكرة عقد المؤتمر و إقامة الطلب اللاتينوأمريكيين. في الأرجنتين، كان أنصار بيرون يؤيدوننا كذلك.

أوصلنا طلاب كولومبيا الجامعون بغيتان.هكذا تشرفت بمعرفته و بالتبادل و إياه. إنه كان قائد القطاعات الكادحة ، بلا جدال و لا منازع، لدى الحزب الليبرالي و القوات التقدمية بكولومبيا.تعهد بافتتاح مؤتمرا و هذا كان بمثابة تشجيع هائل بالنسبة إلينا. كان يعقد في هذا البلد الشقيق اجتماع لممثلي حكومات أمريكا اللاتينية. إن العميد مارشال، وزير خارجية بلده،كان هناك باسم رئيس الولايات المتحدة، هاري آيس. ترومان، الذي تصرف على ظهرالسوفييات، حلفائهم في الحرب العالمية الثانية ، الذين ضحوا بأرواح ملايين من المقاتلين خسروهم هناك، و قذف ، هو الآخر، القنابل الذرية ضد جماعتين مدينتين يانيتيين كبيرتين. و كان المشروع الرئيسي الذي تبنته الولايات المتحدة في اجتماع بوغوتا إقامة منظمة الدول الأمريكية ، التي أتت بثمار هكذا مريرة جدا لشعوبنا.

أتساءل إذا ما كنت قد تقدمت بمثل هذا المقدار في تطوري الإيديولوجي

حتى أبتغي الفكرة الجريئة التي تكمن في عرقلة إقامة هذه المؤسسة التي سلطتها تمارس فوق صلاحيات الأمم.على إي حال، إنني كنت إعارض نظم الطغيان التي كانت المتمثلة هناك، كنت ضد احتلال بورتوريكو و باناما من قبل الولايات المتحدة، و لكنني لم أكن أمتلك بعد فكرة واضحة عن نظام الهيمنة الامبريالية.

ثمة شيء أدهشني عندما قرأت في صحافة كولومبيا الأخبار حول مجازر كانت تقترب في الريف تحت مظلة الحكومة المحافظة لأوسينيا بيريز.

كانت الأخبار تفيد بشكل طبيعي عن عشرات الفلاحين القتلى بتلك الأيام. منذ مدة لم تكن تحدث أحداث شبيهة بالمرة في كوبا. بدت الأمور طبيعية هكذا حتى أنني ارتكبت خطأ، و في المسرح الذي كانت تقدم فيه احتفال رسمي بحضور مارشال و الممثلين الآخرين للبلدان التي تمت دعوتها إلى بوغوتا، و رميت من أعلى طابق نشرات تتضمن برنامجنا. نتيجة لذلك اعتقلت و أطلق سراحي بعد ساعتين. بدت الأمور و كأن الديمقراطية المتقنة تسود هناك. إن التعرف على غيتان وخطاباته، كصلاة السلام، و كذلك دفاعه عن الملازم كورتيس، المثير للاعجاب و الذي تميز ببلاغته البارعة و بركائزه المتينة-و قد استمعت إليها من الخارج لضيق المكان-كان شيئا غير منتظر. من طرفي كنت قد أنهيت سنتين فقط من دراسات الحقوق.كان من المقرر عقد اجتماعنا الثاني مع غيتان و ممثلين جامعيين آخرين يوم 9 نيسان في الساعة 2:00 بعد الظهر. مع صديق كوبي يرافقني كنت أنتظر اللقاء، بينما نتجول بجادة قريبة من الفندق الصغير حيث كنا نقيم وقريب كذلك من مكتب غيتان، عندما أطلق النار على المسؤول الكولومبيمن قبل متعصب أو مجنون ، بلا شك بعد ما حرصوه للقيام بذلك، بالمعتدي تم تحطيمه و تدميره من قبل الشعب.

و بدأت بتلك اللحظة التجربة التي لا يمكن تصورها و قد عشتها في كولومبيا. .إنني كنت مقاتل متطوع لذلك الشعب الشجاع.كنت أؤيد غيتان و حركته التقدمية، مثلما أيد المواطنون الكولومبيون رجالنا " الماميسيس" الذين قاتلوا من أجل الحصول على استقلالنا.عندما سافر أرتورو ألبي إلى كوبا بعد عدة سنوات من الانتصار الثوري، في عام 1981، غابريال غارسيا ماركيز نسق لقاءه معي، الذي بدأ فجرا في بيت أنتونيو نوبس هيمينيس . ألبي كان يحمل معه مسجلة و قام باستقائتي خلال ساعات حول الأحداث التي جرت ببوغوتا في شهر نيسان عان 1948 . و كان نوباس هيمينيس يسجل بمسجلة أخرى.

كنت أحمل ذكريات عديدة ما زالت حية لأحداث لم أكن أستطيع نسيانها ؛ أما المؤرخ، من جهته، كان يعرف كلما جرى من الطرف الكولومبي، تفاصيل عديدة كنت بطبيعة الحال أجهلها، و هذا ما ساعدنا لفهم مغزى كل فصل عشته. دونه، ربما لم أحصل أبدا على هذه المعلومات.و مع ذلك، كان ينقصه مهمة:نقل كلما تم تسجيله بمعاونة مجموعته. أما التسجيل الآخر تم نقله في قصر الثورة. أذكر أنني راجعت إحدى هذه النسخ. و للقيام بهذا العمل، إن الحوارات أصعب من الخطابات، لأنه غالبا يحدث إعتراض الأصوات. لقيت كلمات منقوصة و عبارات متغيرة. و بذلت الجهود و أدت العمل لتصحيحها و ترتيبها . كانت أكثر من أربعة ساعات من المقابلة . لا يتصور الكثيرون كيف يجري هذا العمل. أعتقد أن مزيج الأحداث التاريخية التي جرت قبل و بعد انتصار الثورة أحدث في عقل بلبله محتملة. هذا الذي أفكر فيه ، و في حالة الشك ، الأشرف و الأكثر أمانة هو القيام بتفسير الأمور.

إذا كانت أفكارني السياسية قد أصبحت جذرية خلال ثلاثة سنوات قبل زيارة كولومبيا، في الفترة الوجيزة المتضمنة من 9 أبريل(نيسان)عام 1948 إلى 26 يوليو(تموز) عام 1953،حيث هاجمنا على فرقة معسكر الثكنة مونكادا-منذ تقريبا 55 سنة بالضبط- كانت النقلة هائلة .فقد تحولت فكريا ،إيديولوجيا، إلى يساري جذري حقيق،مما استلحم بالمثابرة و الثبات و الإصرارو العزيمة و الدهاء التي تكرست بها للعمل الثوري.

و جاء فيما بعد الكفاح في سيارا مائسترا ، الذي استغرق 25 شهر، و خضنا المعركة المظفرة الأولى بـ 18 سلاح فقط، بعد التصفية الكاملة تقريبا على فصيلتنا الصغيرة المتكونة من 82 رجل، بيوم 5 ديسمبر (كانون الأول) عام 1956.

هناك اثبات بسجلات الصليب الأحمر الدولي بمئات السجناء الذين أرجعناهم بعد الهجمة الأخيرة للعدو، بصيف عام 1958. ففي ديسمبر ذلك العام لم يكفي الوقت حتى لدعوة الصليب الأحمر الدولي لتسليم السجناء له. بوعد عدم المشاركة في القتال، جنود الوحدات التي كانت تستسلم كانوا يسلمون أسلحتهم و يبقون في حالة التهيئة دون أسلحة، بينما الضباط كانوا يحافظون على رتبهم و على المسدسات حسب اللائحة الأساسية ، انتظارا لإنهاء الحرب.

الآن بعدما بقت كل ذلك ورائنا ، بعيدا عَنَّا، لا أحد يتصور قيمة عمل مثل الذي قام به أرتورو ألابي، الذي كتب كتابا ممتازا حول فترة من النضال الثوري بكولومبيا و أبتغي الكتابة حولها ، نظريا و باحترام شديد، في عدد من التأملات على ضوء الظروف الحالية التي يعيشها نصفنا الغربي من الكرة الأرضية و المعمورة.

من كل الأمور يستخرج درس دائم للثوري الحقيقي:البساطة و قيمة

التواصل.

فيدال كاسترو روز

يوليو(تموز) عام 2008

الساعة 8:21 مساء

تاريخ:

17/07/2008

Source URL: <http://www.comandanteenjefe.org/ar/articulos/lshr-w-qym-ltwd>